الـــــروايـــــة وعـــصر المعلـــومـــاتـيـــة

تـــولـــســـتـــوي

جـمـيـس جـويـس

فـــوكـــنـــر

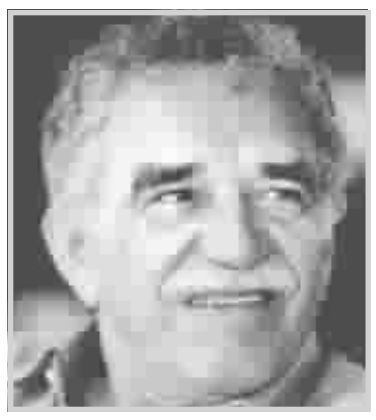
مـــاركـيـــز

سعـد محمـد رحيم

المعلومات، اليوم، متاحة أكثر من أي مرحلة سابقة في التاريخ، وهي ليست متاحة للنخبة وحدها بل للجميع.. إنه عصر المعلوماتية، هكذا يسمونه، عصر القرية الكونية، عصر الإعلامياء، حيث التواصل بين البشر في غاية اليسر، وحيث تجري متابعة أحداث العالم على مدار الساعة والدقيقة والثانية. ولكن، هل نحن الذين نعيش في بداية ألفية جديدة، مع وسائل تقنية غاية في التطور ساعدتنا في السيطرة أكثر على الطبيعة، أقول: هل نحن أشد يقيناً واطمئناناً ممن سبقونا؟. أوسع قناعة منهم بما لدينا من معرفة عن أنفسنا، وعن العالم المحيط بنا؟. هل ترسخت معتقداتنا أم أن هذا الفيض الجارف من المعلومات انتزع منا اليقين والقناعة والاطمئنان وجعلنا مرتابين، وعلى قلق دائماً، وبدلاً من أن يمنحنا وضوح الرؤية ألقى على أبصارنا شيئاً من الغشاوة وكاد يصيبنا بالعمى؟.

في مفتتح كتابه (الفوضى) يشير بريجنسكي إلى أن العالم أطل على القرن العشرين في مناخ من التفاؤل "فقد بدت البنية الكونية مستقرة، فيما كان الأمن والفكر خصلتين جليتين للإمبراطوريات المتواجدة آنئذ" غير أن هذا التفاؤل كما أكدت الوقائع فيما بعد كان في غير محله بعدما "أمسى القرن العشرون، وعلى نقيض ما وعد به، القرن الأكثر دموية وكراهية في تاريخ الإنسانية" ثم يستعرض بريجنسكي أعداد ضحايا هذا القرن نتيجة الحروب الكبيرة والصغيرة والقمع والاستبداد والتطهيرات العرقية وغيرها حيث تصل إلى ١٧٥ مليون إنسان وهذا الرقم كما يقول؛ "أكثر من مجموع جميع من قتل في الحروب السابقة أو الصراعات الأهلية أو الدينية على مر التاريخ البشري، قبل القرن العشرين".

مثل هذه الحقيقة المفجعة والصارخة ماذا تخلّف؟. لنتأمل التغيرات التي طرأت على نظرة الإنسان إلى ذاته وإلى مستقبل نوعه ومصير العالم. فخلال النصف الأول من القرن العشرين سادت الفلسفات التشاؤمية والعدمية والشكوكية، وكتب شبنغلر (أفول الغرب)، ودعا الدادائيون إلى تحطيم قيم العالم القديم وتصوراته، وكذلك فعل المستقبليون، فيما أعلن فرويد أنه وجّه الإذلال الثالث للجنس البشري باكتشافه أن الجنس لا غيره هو دافع الإنسان في الفعل الاجتماعي وإن الشر هو الأصل فيه، لا الخير، بعد كوبرنيكوس الذي أطاح بمعتقد الإنسان أنه مركز الكون حين اكتشف ضآلة وتفاهة جرم الأرض في الكون الهائل السعة، وبعد داروين الذي وضع نظريته في أصل الأنواع وأرجع سلالة البشر إلى القردة. هنا بدأت تلك الحركات الأدبية والفنية التي راحت تروج للفتك بالأشكال التقليدية للأجناس الأدبية والفنية المختلفة، ولم يسلم من هذا حتى الرواية التي تعد جنساً حديثاً بالقياس إلى غيرها. وخرج من قال بموت هذا النوع السردي بعد أن كتب جيمس جويس رواية (يوليسيس) بأسلوب تيار الوعي. حتى إذا جاء البنيويون، في منتصف القرن وبعده، قالوا بموت الإنسان، الإنسان مثلما حددت فلسفات عصر التنوير الأوربي نمطه، الإنسان الذي رأى فيه فوكو "اختراعاً حديث العهد، صورة لا يتجاوز عمرها مئتي سنة، ومجرد انعطاف (ثلمة) في معرفتنا، سيختفي حين تتخذ المعرفة شكلاً آخر جديداً".

وإذا كان القرن التاسع عشر قد شهد الحلم بالاشتراكية، ووطد أسس الإيديولوجيات الكبيرة فإن القرن العشرين قد مثّل عصر ضياع الحلم الاشتراكي وتفكك وضمور الإيديولوجيات. في هذا الوقت راجت الرواية الجديدة في فرنسا التي همشت في متنها الإنسان وأعطت الثقل للأشياء، وقبل هذا هشمت الشكل التقليدي الكلاسيكي للرواية، ومع أقطاب الطريقة الجديدة هؤلاء صارت الرواية مغامرة كتابة، لا كتابة مغامرة.

لا شك في أن البشر المعاصرين يعرفون أكثر بكثير مما كان الأقدمون يعرفون.. المعارف تتراكم، وتتضاعف في كل عقد، غير أن العالم نفسه بات في حالة من الفوضى والاضطراب لم يعرفها قبلاً، وصار الإنسان أقل يقيناً وثقة بوضعه، هذا ما كانت شخصيات كافكا تفكر فيه وتعاني منه، في سبيل المثال. ومقارنة بسيطة بين عوالم كبار روائيي ما قبل القرن العشرين مثل (بلزاك، تولستوي، تشارلز ديكنز، أميل زولا، الخ) وعوالم روائيي القرن العشرين مثل (فوكنر، فرجينيا وولف، كلود سيمون، ماركيز، كونديرا، الخ) تكشف لنا تباينات لا تنكر (بينهما) في الرؤية والأسلوب واللغة ووجهة النظر، وفي الأنساق السردية. وقطعاً أن الروائيين الجدد يدركون الفارق في العمق بينهم وبين أسلافهم العظام، ويستشعرون تلك المعضلة في أنهم يعيشون عصراً من الصعب فهمه وتمثله تماماً.. يقول وليم غولدنغ؛ "القرن العشرون قرن غامض ومبهم، وأنا طفل في هذا القرن. لا أحس أن هناك أي يقين تام أو نهائي. أعتقد أن لدي الحق في أن أؤلف كتبي بهذه الطريقة الغامضة، لأن كل شيء ناقص". ويقول ألان روب غرييه؛ "إن روائيي القرن التاسع عشر كانوا يجلسون إلى منضدة الكتابة لأنهم يفهمون العالم (أو هكذا كانوا يعتقدون) أما نحن فنجلس إليها لأننا لا نفهم إننا بحاجة إلى مزيد من الفهم حقاً.. أن نفهم العالم وأنفسنا.. صحيح أن الرواية لا تدعي امتياز تحقيق مثل هذا الفهم، لكنها تساعدنا عليه، تمنحنا صورة عن حياتنا وزمننا، وعن حيوات الآخرين وأزمنتهم، صورة نحن بأمس الحاجة إليها.. إنها صورة عن ذواتنا القلقة المرتبكة، الحالمة، والتي لا تكف عن طرح الأسئلة، وأعتقد أن وظيفة الأدب، لا سيما الرواية تتأكد هنا. في اقتناص وتمثل وعكس ذلك التوتر بين الفكر والحياة، بين الإنسان وتاريخه، بين العقل والقلب، بين نثر الواقع وشعرية الحلم.

باتت الرواية مثقفة أكثر، مترعة بالمعرفة، متشربة في تضاعيفها بأفكار ومفاهيم ونظريات من علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والطب والكيمياء والفيزياء، الخ. وهناك روايات أخذت تردم الهوة بين الثقافتين العلمية والأدبية، وتصل تخوم ما تسمى بالثقافة الثالثة إذ تتشبع المخيلة بمعطيات المعارف المختلفة. وحين تقرأ رواية من هذا القبيل تستطيع أن تتلمس داخلها بصمات مفكرين من أمثال ماركس أو فرويد أو فوكو أو إدوارد سعيد أو آينشتاين، وشذرات من الكيمياء العضوية أو هندسة الجينات أو علم الفلك، وغيرها. وهذا الكلام لا يخص رواية الخيال العلمي وحدها بل يمكن تعميم القول عينه على روايات أُخر ذات صبغة اجتماعية استفادت من تقنيات العلم في أشكالها وأساليبها، وتعاملت مع المادة العلمية، أو مع بعض جوانب الحياة بمنظور علمي.

ثمة خرافة يتداولها بعض الكتّاب في مجال السرد القصصي والروائي، عندنا، تحكي عن أضرار التحصيل الثقافي المتعمق للقاص والروائي، وآثاره السيئة على قدرته في السرد، لأنه، أي ذلك التحصيل، حسب زعمهم، يسلب من السارد العفوية والفطرة السليمة، وتنمط رؤيته، ومن ثم لغته وأسلوبه.. قد يكون هذا الأمر صحيحاً مع بعض من أشباه أو أنصاف الموهوبين، أو ممن يجعلون من الكتابة السردية هماً ثانوياً، لكن صاحب الموهبة الأصيلة لا بد من أن تتوطد موهبته، وتتشذب وتصقل مع اتساع نطاق ثقافته، وفي سبيل المثال لا أحد يشك في رقي وعمق ثقافة ألبير كامو وجان بول سارتر وسيمون دي بوفوار وأمبرتو إيكو إلى جانب موهبتهم في الكتابة السردية.

إن العلوم الإنسانية (علم الاجتماع، علم النفس، الأنثربولوجيا، علوم التاريخ والسياسة والاقتصاد، الخ) استمدت بعضاً من أفكارها ومفاهيمها من الروايات الكبرى، في الوقت نفسه كانت روايات أخرى تتنبأ بالمكتشفات العلمية العظيمة، إلا أن الروائي المعاصر، ومع التطورات المعقدة والهائلة الحاصلة في حقول العلوم المختلفة عليه أن يكون مطلعاً على الاتجاهات العامة لذلك التطور، لا سيما حين يعكف على كتابة رواية تعتمد في أحداثها وتفاصيلها على مسائل لها علاقة بواحد من تلك العلوم أو أكثر، فإذا كانت ثمة شخصية مصابة بمرض الإيدز، في سبيل المثال، فعلى الروائي أن يرجع إلى ما يقوله المتخصصون عن ذلك المرض (تاريخ اكتشافه، أسبابه، أعراضه، وطرق علاجه، فعله في الجسم الإنساني) وكذلك مع أي قضية من هذا القبيل، وصاحب رواية العطر (ساسكند) لا بد من أنه قرأ وفهم تماماً (إن لم يكن متخصصاً) المسائل الكيمياوية الدقيقة المتعلقة بصناعة العطور وتاريخ هذه الصناعة، ولا بد من أن نادو مؤلف رواية (عبدة الصفر) قد تعمق في علم الرياضيات. وقد قرأ تولستوي وماركيز آلاف الوثائق التاريخية، الأول عن حملة نابليون على روسيا قبل أن يكتب رواية (الحرب والسلام) والثاني عن الجنرال بوليفار محرر أميركا اللاتينية قبل أن يكتب رواية (الجنرال في متاهته).

إذن ماذا يجب أن تكون عليه الرواية المعاصرة كي تستطيع الرواية أن تستمر جنساً أدبياً مقروءاً في العقود القادمة، مع وجود ما ينافسها من قنوات الثقافة الجماهيرية لا سيما التلفزيون والسينما والإنترنت؟. ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال، لكن يبقى، شرطاً أساسياً، التأكيد على ضرورة أن يكون الروائي، قبل أن يشرع في كتابة روايته، على دراية كافية بفكر وروح وقيم ونمط حياة عصره فضلاً عن أشياء أُخر، كثيرة.

كـــتـــب

نظريات وطرائق تحليل الموسيقى العربية

عرض: عبد العليم البناء

(إن استيعاب اسس التحليل الموسيقي العلمي ومكونات النسيج الغنائي الموسيقي (الغناسيقي) للتراث العراقي والعربي والعالمي ومعرفة طرائق تطبيقها لا تتم ولا تكتسب الا من خلال دراسة المواد الموسيقية الاساسية والفرعية اولاً).

بهذه البديهية والحقيقة العلمية الموسيقية يمهد الاستاذ الدكتور طارق حسون فريد لكتابه الموسوم (نظريات وطرائق تحليل الموسيقى العربية) الصادر عن جامعة بغداد في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مؤكداً أن جميع المواد النظرية والتطبيقية كمبادىء الكتابة وقراءتها وعلم التوافق والتضاد الصوتي وعلم الاشكال والانواع وعلم الالات الموسيقية وجميع المواد الموسيقية المرتبطة بالعلوم الانسانية كعلم التراث الشعبي او (الفلكلور) وعلم النفس الموسيقي وعلم الجمال الموسيقي وكذلك المواد العلمية الغنائية والالية التطبيقية كالغناء والعزف المنفرد والجماعي وقيادة المجاميع الادائية وقراءة المدونات الموسيقية وغير ذلك تعد وحدة متكاملة تساعد الباحث الموسيقي المتخصص على السير قدماً في جمع المادة الغناسيقية من الميدان وتوثيقها وتصنيفها وارشفتها ثم تحليلها ودراستها وفق المنهج التحليلي المختار الذي يحقق هدف الدراسة).

ومن اجل تحقيق هذا الهدف العلمي الرصين سعى الاستاذ الدكتور طارق حسون فريد الذي سبق ان نال شهادة (ماجستير فن) في تأريخ الموسيقى من قسم العلوم الموسيقية بكلية الفلسفة جامعة كومينوس في براتيسلافا/ سلوفاكيا عن اطروحته (دراسة تأريخ آلة العود وتعبيراته العلمية) عام ١٩٦٦ وشهادة (دكتوراه فلسفة) من الجامعة ذاتها عام ١٩٧٨ عن اطروحته (حضارة العراق الموسيقية/ القسم الاول - موسيقى التلاوة وموسيقى المولد- جزءان) سعى الى تأكيد اهمية التحليل الموسيقي العلمي الكامل او كما يدعى بمنهج النظام الكامل للتحليل الموسيقي الذي اصبح منذ ستينيات القرن الماضي مفتاحاً ومخرجاً وفي آن واحد للأجابة على مختلف التساؤلات الملحة حول الاساليب الموسيقية ولهجاتها والانماط المنطقية والتأريخية والاصل والتطور وكذلك عندما يراد دراسة نوعية المحتوى والتعبير والمعنى والتنوع الوظيفي للفن الغناسيقي الشعبي (اذ بدون التحليل الموسيقي يكون من غير الممكن تصور خصائص الظواهر الموسيقية واختلافاتها وسماتها وامكانية مقارنتها)..

وقد استعرض المؤلف الذي يشغل حالياً منصب المعاون العلمي في كلية الفنون الجميلة في الفصل الاول من كتابه هذا واقع دراسة نظريات الموسيقى العلمية والعربية في التعليم العربي المعاصر ومما ترجم او ألف .. وفي الفصلين الثاني والثالث تناول النظرية الموسيقية للتراث والموروث الغناسيقي والعربي المعاصر من زاوية مكوناتها الصوتية الفيزيائية ابتداء من النغمات وانتهاء بما يعرف بالسلالم او المقامات.

ويستعرض في الفصل الرابع طرائق بعض الباحثين العرب المعاصرين التحليلية الموسيقية بأيجاز ويختتم مادة الكتاب بالفصل الخامس الذي يتناول فيه الباحث طرائق تسجيل المعلومات والبيانات التحليلية لعلم موسيقى الشعوب (اول علم الموسيقى المقارن الذي جاء ترجمة لمصطلح اثنو موزيكولوجي حيث حشد اللوحات التحليلية الموسيقية الخمس والرسم التخطيطي والرسم البياني التي اهتدى الى وضعها من حقول استمارة التحليل الموسيقي الكامل رقم (٢) المعتمدة في القسم الاثنوفوزيكولوجي لاكاديمية العلوم السلوفاكية كوسائل توضيحية موجزة لجميع البيانات التحليلية التي يمكن خزنها واسترجاعها بسرعة من الحاسوب (الكومبيوتر) وخاصة عند التعامل مع البيانات التحليلية بل آلاف الالحان والاغاني الشعبية..

وكانت اللوحات والرسوم خير معين له لتوضيح نتائج التحليل التفصيلية بملخصات موجزة مركزة كما هو متبع في العلوم الصرفة عند قيامه بدراسة مختارات من القراءات القرآنية العراقية والمولد النبوي الشريف.. وقد كان منهج النظام المتكامل للتحليل الموسيقي وتعديلاته خير معين للباحث للوصول الى ادق التفاصيل الممكنة لخلايا الجسم الغناسيقي اللحنية والايقاعية وغيرهما خلال البحوث والدراسات التي قام بها المؤلف فيما بعد في العقدين الماضيين حيث ساعد هذا المنهج طلبة البكالوريوس والماجستير في قسم الفنون الموسيقية بكلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد على الوصول الى الدقة العلمية عند انجاز تقاريرهم واطروحاتهم..

وعلى الرغم من عملية هذا البحث وتخصصه الدقيق الا انه لا غنى عنه للذين يريدون سبراغوار عالم الموسيقى عامة وطرائق تحليل الموسيقى العربية خاصة..

مـــجـــلات

مجلـــة (هلا) الـثـقـافـيـــة.. نـصـــوص الامكنـــة وثقـافـــة الـصـــورة

عرض: المدى الثقافي

بقيت المجلات الثقافية العراقية خلال عقود طويلة رهينة الشكل التقليدي في تصميمها وفي محتواها، لكن مجلة (هلا) كسرت التقليد باعتماد أبواب ثقافية جديدة.

فقد كانت المجلات الثقافية تعتمد غالبا النصوص الابداعية والدراسات النقدية والمتابعات الفنية. وبقي الفهم السائد للثقافة محصورا بين قوسي الادب والنقد ولم يتخطاه إلى ميادين جديدة.

مجلة (هلا) التي تصدر عن جمعية الفنون البصرية المعاصرة في بغداد كسرت هذا التقليد.

تقول رئيسة تحريرها الكاتبة لطفية الدليمي ان المجلة وضعت رهانها الثقافي على ثلاثة مسارات اساسية في التوجه الثقافي:

- اولها تعزيز ثقافة الامل مقابل ثقافة اليأس والموت التي تحاصر الانسان العراقي في هذه المرحلة المضطربة والتوجه نحو رؤية منفتحة على المستقبل.

ثانيها محاولة اعادة الاعتبار للروح العراقية التي محقتها الكوارث والحروب وتأكيد الرابط الروحي بين المكان والانسان وبينه وبين مستويات الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل.

ثالثها الاحتكام إلى المدى الانساني في الثقافة والذي تشترك معه الثقافة العراقية في المعاني الكبرى للتراث الانساني بتجاربه المتنوعة.

وحسب ماجاء في افتتاحية العدد الاول من (هلا) أرادت المجلة الجديدة التركيز على ادب المكان والعناية بالجمال في ابعاده المتنوعة وتقديمه برؤية بصرية لتكون الصورة الفوتوغرافية موضوعا مستقلا بذاته وليس تابعا للنص او مفسرا له، وبذلك تخرج المجلة عن الصيغ السائدة للمطبوع الثقافي إلى فضاء التفاعل البصري الجمالي.

كما عملت المجلة على الاستفادة من معطيات عصر ثقافة الصورة ونجحت في ذلك لانها مشروع مستقل غير مرتبط بسلطة او هيمنة جهة سياسية معينة.

ودأبت المجلة منذ عددها الاول على تقديم ملفات خاصة بادب المكان اضافة إلى موضوعات عن الابداع الرافديني والمنجز العلمي الانساني في العصر الاسلامي، مثلما قدمت عروضا لتجارب تشكيلية معاصرة وقراءات لكتب حديثة ومتابعات للانشطة الثقافية العراقية من مسرح وسينما وندوات ومعارض وتحقيقات عن بغداد وامكنتها وتحولاتها.

ومن المحاور التي قدمتها المجلة في عددها الرابع محور (امكنة مترحلة) كتب فيه عدد من الأدباء عن رؤيتهم للامكنة في ترحلها وتاثير الترحال في التوجه نحو المستقبل ومغادرة الصيغ المستقرة إلى المتغير المتجدد.

وتهتم المجلة كما تقول رئيسة تحريرها بـ "طرح مقترحات معاصرة للحياة السياسية والثقافية والفكرية في باب (عتبة التأسيس) فمن دعوة لتحرير الجيل الجديد من سلطة التلقين، إلى موضوع المواطنة بين السلطة والدولة إلى مقترح لتكريس عيد للكتاب والقراءة ونداء لحماية الموروث المعماري العراقي."

وفي عتبات التنوير قدمت المجلة في كل عدد من اعدادها الاربعة شخصية عالمية تنويرية فمن ديدرو إلى ابن خلدون ومن نيلسون مانديلا إلى الشيخ محمد عبده.

ومنذ عددها الاول دأبت مجلة (هلا) الثقافية على التعريف بالابداع الرافديني فنشرت في عددها الاول قراءة معاصرة لقصيدة (السيد والعبد) التي تعود إلى بدايات الالف الثالث قبل الميلاد، وفي عددها الثاني قدمت المجلة مقاطع من قصيدة الخليقة البابلية،(اينوما اليليش) اي حينما في العلى، وفي العدد الثالث هناك دراسة عن نظام الشكل السومري

في الفن ذي البعدين وناقش العدد الثالث منظومة المكان الفكرية وتاثيرها في ملحمة كلكامش.

كما عنيت مجلة (هلا) بتأثير منجزات العلوم الطبيعية لدى العلماء المسلمين والعرب في القرون الوسطى مثل الرازي والادريسي وابن الهيثم وغيرهم.

المطر القادم

أحمـد المـظفـر

العبرة تخنقني..
وربما تسبقني احياناً
كي تسقيني:
كأساً من الدموع
هل امتلأت الكأس..؟
هل توارت عيوني..؟
أم انني:
أعمى..
اهمس في اذني
فأسمع نظراتي:
تمطر..
المطر القادم
أقسى..
يقولون:
إنه سيملأ الوطن
عدلا
وحدائق وعيوناً
وآذاناً
تحتاط لكل عبوة
ستخترق الحائط..
الوطن اجمل..
من كل العيون
لانه يرانا..
الوطن ما زال يرتدي
ثياب الموت
كي يدفن ابناءه بيديه
مرة سألت الوطن
لماذا لا نموت سوية
لم يجبني..
لان الشظايا
اخترقت لسانه..